

المثل السائر

(ثم السبيل يسره) لأن بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين إخراجها منه وتسهيل سبيله مهلة وزماناً فلذلك عطفه بـثم وعلى هذا جاء قوله تعالى (ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) لأن بين إخراجها من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ولذلك عطفهما بـثم ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخٍ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريفٍ وقلما يتفطن لاستعماله كما ينبغي .

ومما جاء من ذلك أيضاً قوله تعالى في قصة مريم وعيسى عليهما السلام (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) وفي هذه الآية دليل على أنه حملها به ووضعها إياه كانا متقاربين لأنه عطف الحمل والانتبذ إلى المكان الذي مضت إليه والمخاض الذي هو الطلق بالفاء وهي للفور ولو كانت غيرها من النساء لعطف بـثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى (قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره) فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجها منه مدة متراخية عطف ذلك بـثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فإنها عطف بالفاء وقد اختلف الناس في مدة حملها فقيل إنه كان كحمل غيرها من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثة أيام وقيل أقل وقيل أكثر وهذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحاً على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذاً بما دلت عليه الآية .

ومما ورد من هذا الأسلوب قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر) ففي الآية المتقدم ذكرها قال (من نطفة خلقه فقدره) فعطف التقدير على الخلق بالفاء لأنه تابع له ولم يذكر تفاصيل حال المخلوق وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله فبدأ بالخلق الأول وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو